مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٦، العدد ٧: ٢٠١٨.
**Journal of University of Babylon for Humanities, Vol.(26), No.(7): 2018.**

# Religious Tolerance in the Thought of Thomas Aquinas

**Ahmed Abdalsadh Zwayyer**
*University of Imam Kadhim/ College for Islamic Sciences*
**dr.ahmedabd83@gmail.com**

**Submission date**: 12 /8 /2018 **Acceptance date**:19 /8 /2018 **Publication date**: 2 /9 /2018

## Abstract

This paper considers the thought of Saint Thomas Aquinas particularly focusing on religious tolerance of the religions and beliefs contrary to Christianity. It tries to suggest a remedy through what we called dialogue rules to know those whom we should talk with to reach common points without offending the religious belief of either party. The paper also shows Aquinas's attitude to tolerance of rituals which Christianity considers deviant practices that harm belief so as to end with accepting the opposite other, in his political theory which aims at achieving the common interest under the umbrella of a state seeking the society of the Man.

**key words :** Belief, Reformation, Religons, Judaism, Rule .

# التسامح الديني في فكر توما الاكويني

**أحمد عبد السادة زوير**
*كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة*

## الخلاصة

يتجه هذا البحث الى فكر القديس توما الاكويني ويحدد التسامح الديني تجاه الاديان والمعتقدات المخالف للعقيدة المسيحية موضوعاً للدراسة، ويحاول أن يقدم معالجة عبر ما اسميناه بقواعد الحوار لمعرفة الذين ينبغي ان نتحاور معهم للوصول لنقاط الاشتراك وعدم المس بالمعتقد الديني لكلا الطرفين، وكذلك يبين البحث موقف الاكويني من التسامح في ظل الطقوس التي تعدها المسيحية ممارسات منحرفة تضر بالايمان كي ينتهي بقبول الاخر المخالف في نظريته السياسية الهادفة لتحقيق المصلحة المشتركة في ظل دولة تسعى لمجتمع الانسان.

**الكلمات المفتاحية :**العقيدة، الاصلاح، الاديان، اليهودية، الحكم.

Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH) by University of Babylon is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License

## ١. المقدمة

إنّ موضوع التسامح الديني لا يمكن أن يتواجد في المنظومة الاجتماعية إلا اذا توفرت القدرة على الاصلاح وإعادة بناء المنظومة الدينية والفكرية في المجتمعات، فالمسيحية – على سبيل التمثيل – كانت تحمل في داخلها ثورة للتغيير تجاه الديانة اليهودية التي مارست الاضطهاد على كل من يخالفها انطلاقا من رؤيتها الاحادية –كونهم الشعب المختار– ولم تنتهِ هذه الثورة داخل المجتمع المسيحي بل تطورت بحسب مفكريها الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية والذين مزجوا افكارهم باللاهوت من أجل تقديم مشاريع تتيح لهم التعامل مع الآخر المخالف في العقيدة.

ومن الشخصيات الفلسفية التي تناولت موضوع "التسامح الديني" القديس توما الاكويني (١٢٢٥–١٢٧٤) ففي موسوعته "الخلاصة اللاهوتية" قد عرض على وفق منظومته الرابطة بين العقل والنص الديني، موقف اللاهوت المسيحي من اليهود وغير المؤمنين، وهو بذلك يفتح الباب لمراجعة ما يعرف بالحقبة الاسكولائية التي كانت تهيمن على الساحة الثقافية آنذاك ومراجعة اللاهوت الدوغمائي المسيطر على رقعة كبيرة من قبل السلطات المتخذة من الدين وسيلة لتوسيع نفوذها.

فكانت مهمته تقديم قراءة لاهوتية تسمح بالحوار مع كل من يخالف العقيدة المسيحية في ضوء المساحة المسموح بها، على ان الا يخالف غير المسحيين النظام الذي يحدد من المجتمع المسيحي على وفق الارادة الالهية المنصوص عليها في التعاليم السماوية، والتي بدورها تضمن للكل العيش بسلام وامان، وهو ما تحقق في نظريته السياسية ومفهوم الدولة عنده، حينما توصل الى ان الدولة ضرورة انسانية يلجــأ إليها المجتمع للوصول إلى السعادة متابعا افتراض ارسطو: "الانسان كائن سياسي" ومتخطياً فكرة الخطيئة لمؤسس دولة المسيح، وملزما المجتمع في البحث عن الصالح العام والمشترك.

وهذا يعني أن البحث مراجعة لفكر القديس توما الاكويني في التسامح الديني والممارسات المختلفة لمن يخالف المسيحيين من عقائد وأديان والرغبة في فتح باب الحوار من أجل تجنب الشر الأعظم، والسعي نحو خير البشر وتحقيق السعادة المتمثل في تأسيس الدولة الراعية للمصالح الانسانية المشتركة.

## ١. جذور التسامح الديني

إنّ من ينظر الى العصر الوسيط بشكل عامّ يجد أنهُ مملوء بالتشدد ولا يقبل التسامح ويقوم على الاضطهاد، وهذه نظرة قاصرة؛ بل ان نصوص كثير من اللاهوتيين الذين يمثلون الفكر المسيحي آنذاك مملوء بالحوار والتسامح المبني على اساس قبول الآخر فكريًا وعقديًا واجتماعياً، إلّا أنّ هذا القبول غاب بسبب الكثير من الممارسات السياسية التي تشكل الصوت الاعلى ولا تمثل صوت الفلاسفة الذين –اقل ما يقال عنهم– فتحوا الباب الى عصر الاصلاح وصار معروفاً في الأوساط الفكرية اكثر من ايّة حقبة رغم تعرضها للإهمال من جانب العالم المسيحي وكذلك في الجانب الفلسفي لكن ما ان زال عنها الغبار اتضحت صورتها الجلية الممزوجة بروح اللاهوت والفلسفة بمنظومة معرفية حاضرة في مؤلفات القديس توما الاكويني والباقية بواسطة تيار التوماويين[١: ٢١٩] الذين بدؤوا بعرض افكاره الى ايامنا هذه*. وصار الاكويني يمزج بين

*ومن الممثلين للتوماويون الجدد هم اتيينجلسون وجاك ماريتان

العقيدة المسيحية والفلسفة الارسطية، وهكذا يتم تصحيح أخطأ أرسطو[**٢: ٣٨] كما تم إكمال النقص الموجود عنده.

قد نجح الاكويني (بعد وفاته) بوساطة منظومته في إقناع الكنيسة الكاثوليكية في تبنيها للفكر الارسطالي بعدما كانت الكنيسة تبنت لاهوت اوغسطين القريب من الفكر الافلاطوني قبل تسعمائة عاما.

استطاع توما الاكويني أن يفصل بين الفلسفة و اللاهوت وجعل الثانية تخدم الأولى، فتألب عليه الأصدقاء والأعداء حتى أن بعض اخوته من الرهبنة نفسها قد حرموا تعاليمه الذين كانوا أساقفة باريس وكنتربري، إلا أن البابا يوحنا ٢٢ أعلن في عام ١٣١٨م بأن تعاليم الاكويني كان معجزة وانه الوحيد الذي انار الكنيسة اكثر من كل الأساتيذ السابقين، فاعلنه قديساً في عام ١٣٢٣م، ثم أعلنه البابا بيوس الخامس الدومنيكي ملفانا للكنيسة في عام ١٥٦٧م وسمي بملفان الملائكي. وعُدَّ توما الاكويني من اعظم فلاسفة سكولاستيك (وهو اشد المذاهب المحافظين على تقاليد ومبادئ الكاثوليك)[٣: ١٨٥]. إذ يعد لاهوته أساساً لمذهب الكنيسة الكاثوليكية منذ مجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٨٧٩م الآن. فقد اقر تماما وبوضوح مبادئ الفلسفة واللاهوت[٢: ٣٩] التي بدورها فتحت باباً امام رواد العصر الحديث "عصر النهضة" في مراجعة النصوص اللاهوتية من الحقبة الوسطى، بالذات كتابات توما الاكويني ومدرسته بحثُ عن النصوص التي تمثل جذور الاصلاح وينبوع التسامح الديني وقبول الآخر الذي صار وسمة عصر النهضة مع انطلاق مشروع التنوير الذي غطى العصر الحديث

إنّ الاصلاح والتسامح وقبول الاخر كان المحرك الحقيقي لظهور التنوير في أوربا لانه كما ينقل الدكتور هاشم صالح عن البرفسور رولان مورتييه: إن التنوير كان موجود بالنصوص الدينية المورثة من الكتاب المقدس متداولة في كتابات العصور الوسطى من مؤلفات اللاهوتيين المسحيين والصوفية[٤: ١٣٩].
فالغافل عن هذه الحقبة بدعوى التشدد والظلام هو يعزل تاريخ الفكر الذي لا ينقطع بعضه عن البعض، من دون تحقيق بصورة علمية والا صار كل زمان يخالطه الفهم الديني بانه مظلم وملؤه الاضطهاد.

وإنّ التعذيب والاضطهاد الذي مارسته الكنيسة عن طريق احياء بعض النصوص او التعكز على النصوص اليهودية التي اعطت رجالات الكنيسة الحق في الدفاع عن الدين، وبذلك يدافعون عن وجودهم بقدر ما يدافعون عن الدين او العقيدة " لقد حدث في تلك الحقبة تعذيب واضطهاد غير قليل ولكنه لم يكن اضطهاداً منسقاً وانه ليبدو لي ان الكنيسة كانت مدفوعة في مطاردة الالحاد باعتبارات مصلحتها الدنيوية"[٥: ٥٢].

## ٢. قواعد الحوار

إنَّ ما يعطي مساحة كافية للعقل الانساني هي حرية الحوار في المستويات العقائدية في جميع المعتقدات، لا بل أن اغلب مفكري الديانات يسعون الى بناء مثل هذه قواعد، التي بدورها تعزز قبول الاخر المخالف عقائديا، والتغاضي عن الفروقات والاجتماع على المشتركات، الا ان هكذا تنظير يحتاج لشجاعة في فتح الجانب المستتير من المخفي والغامض، لكن لابد ان يكون المتلقي للحوار على قدر واسع من الاحاطة بالمتحاور حتى يتعقل الطرفان مما يقدمّ من خطاب.

---

**تميزت فلسفة توما الاكويني على فلسفة ارسطو، في مجال الطبيعة الضيق الذي فسره القدماء تفسيراً ناقصاً عن طريق " النور الطبيعي" للعقل البشري فهمه اللاهوت التومائي فهما واسع واكثر صدقاً، وبذلك يتم تصحيح اخطاء ارسطو واكمال النقص الموجود.

فكان الضابط في هكذا علوم "اللاهوت" كما يذكر احد قرملكي استعمال منهج البرهان في بعض المسائل وكذلك يستعملون منهج الجدل في بعضه، بينما يعتمدون الادوات والمبررات التاريخية في ما يحتاجون للنقل[٦: ٢٣٧]

وبما ان علم اللاهوت بخلاف فلسفة الدين لاعتماده على الطابع الوسائطي، الذي يمثل برنامجا تعليمياً تبشيرياً دفاعياً عن العقيدة الدينية، فصار لزاماً على علماء اللاهوت والكلام ان يضعوا قواعداً بشأن الحوار مع غير المؤمنين بالديانات السماوية والمؤمنين مثل اليهود الذين يعترضون في كثير من المسائل الايمانية***[٧: ٣].

لذا يصوغ توما الاكويني قواعد للحوار مع غير المسيحيين في الايمان " الكلام" والمراد منه الدفاع عن العقيدة الدينية من التشويه والتشكيك على أساس فساد العقل.

**اولاً:** بين المحاور او المجادل في دفع الشكوك والشبهات داخل الايمان المسيحي " اللاهوت" وتتمثل هذا في مناقشة توما الاكويني شروط واساسيات الحوار في داخل الساحة الاعتقادية، وهل هذا النقاش يكون بصورة علنية أو لا.

فبولص الرسول(٥-٦٤م) يصرح قائلاً:" لا تماحك بالكلام لان هذا لاينفع شيئاً وانما يهدم السامع" [٢ نيو ٢: ١٤] فالنهي هنا عن الجدل العلني وبالذات اذا كان المجادل والسامع ليسوا عن قدر معين من العقيدة "الايمان" فالتحذير اولى من إعلانه وزراعة الشك والشبهات في القلوب الضعيفة في الايمان.

**وثانيا:** توما الاكويني يعتمد على شريعة مرقيانوساوغسطوس المثبتة بالقوانيين: من ادعى اعادة النظر والمجادلة علنا في ما قد تقرر على وجه السداد فقد احتقر بذلك حكم المجمع المقدس[٥:٨/٥٠٠]وهو يبين موقف المجمع من المتجادلين في المسائل التي نهى عنها واعدّها نوع من المجادلة الخطيئة والكبيرة لأنّها تحقر تعاليم المجمع المقدس، الا ان هذا الذي تقدم لم يكن مسوغاً لمنع الحوار حتى في الدائرة الاعتقادية والا كانت مغلقة وغير منفتحة من الذين لايعقلون صحة المعتقد وحقيقة الديانات في جميع الاديان، لذا فتوما الاكويني يرى أنّ القضايا العقائدية تقوم على اساس من الايمان، والايمان المبني على اليقين، واذا كان هناك شك في أمرٍ ما فلابد من ايراد مجموعة من الحجج، وبما اننا ذكرنا أن الايمان يقوم على اساس اليقين فلا يجوز زحزحت هذا اليقين بالجدل العلني. فهل العقيدة المسيحية تعد نفسها من العقائد المغلقة؟ التي لاتستطيع الجدل والحوار في دفع الشبه وفتح المجال للذين يساورهم الشك في بعض الاعتقادات التي إن زالت لربما تفتح المجال لدخول افراد جدد من غير المعتقدين او من لم يدخلوا في عقيدة المسيح، وهو ما جاء في الصحاح من الرسل وهذا ما دفع الاكويني من وضع شروط لهذا الجدل العقدي في أمرين:-

**الاول:** في المجادل.

**والآخر:** هو الطرف السامع المتلقي.

فالمجادل تتوقف عليه القصد في الفعل، وهي على قسمين.

**الاول** هو من يريد ان يُعرف بالحجج المعروضة عمق ايمانه اذا كان على حق وهو بهذا القصد يكون على شك من ايمانه، ويكون قصده غير صحيح[٥:٨/٥٠٠].

***ان فلسفة الدين ليست جزء من التعاليم الدينية، ولا ينبغي أن تعالج من وجهة نظر دينية. فالملحد والمشكك والمؤمن جميعهم يستطيعون التفلسف حول الدين

**أمّا الثاني** من المجادل هو يقصد بجداله دفع الاوهام او التمرس في الجدال فيكون في فعله كما يقول محموداً.

اما بالنسبة لسامع الجدال، وفيه تفصيل نستطيع ان نجمله في شقين ايضاً على اساس القصد او النية اذا ما كانوا مثقفين في الايمان وراسخين فيه او سذجاً ومترددين فيه لان الاول ليس فيه خطر على صاحبه، اما السذج ففيه اكثر من وجه فقد يكون السامع متربص في المجادلة حتى يضعف من صاحبه وهو شيء من الاغراء الذي يقوم به بعض اليهود آنذاك لكي يفسدوا دين المسيحية كما يذكر توما الاكويني، او كما ما موجود في بلاد ليس فيها كفرة، فيكون الجدال العلني امرا ضروريا في الايمان على ان يتولاه رجال اكفاء قادرين على رد الأضاليل حتى لا يرمو بسذاجة الى الشك[٥:٨/٥٠٠] وعلى هذا يكون التسامح في الحوار مبني على اساس حفظ العقيدة من عبث المتربصين والا فالحوار جائز اذا لم يهدد سلامة الايمان، وكيان وحدة الكنيسة.

## ٣. موقف الاكويني من التسامح الديني

كان التسامح متداولاً منذ زمن طويل، في أثناء الحديث عن الحرية الدينية**** [٩: ٧٠-٧١]، وقد كرس توما الاكويني، في الخلاصة اللاهوتية[٥:٨/٥٠٠]، مقالة كاملة لمعالجة المسألة الاتية "هل نتسامح مع غير المؤمنين"؟ بحيث لن يملك اللاهوتيون الكاثوليك في زمن الاصلاح الا ان يرددوا، كلماته، حيث صيغت مسألة التسامح كالاتي: هل يمكن ان" نسمح" بوجود ديانتين أو اكثر او بالأحرى مع من " نتسامح" في مملكة مسيحية واحدة ؟

فالمسيحية بعد ان انتقلت الى مرحلة مابعد الاضطهاد وصارت عقيدة تغطي مساحة كبيرة من البقاع صارت تمثل مجتمع سياسي مستقل ولم تختلط بصورة واضحة مع الوثنيين في مجتمع واحد سياسي بشكل واضح، وان المسيحية لاتزال انذاك تحمل بعض الاباطيل التي تذكر الى حدّ ما بالوثنية، انما لم يعد هنالك ديانة وثنية، بالمعنى الصحيح، فالجميع، باستثناء اليهود، من اهل العماد اما الوثنيون فقد كانوا موزعين على الاطراف، في إسبانيا وافريقيا والشرق واوروبا الشرقية والشمالية[١٠: ٣٥]. اذن فمسألة موقف الكنيسة كمؤسسة من غير المؤمنين لم تطرح خارج محيط العالم المسيحي.

لذا اشترط أوغسطين في تأسيس قبول الآخر "المخالف" تحقق الارادة من اجل الايمان "ليس بمستطاع اي امرئ أن يؤمن من دون ارادته"[٩: ١٠٩] وهذا الموقف من اوغسطين صار ملزماً حتى صار بمثابة القانون في الايمان المسيحي، ان الايمان لا يكون بالإكراه ولا بالانتماء الى المسيحية، وهذا التسامح لم يتوقف، فتوما الاكويني يعزز كلام اوغسطين بقوله: "من غير المؤمنين من لم يتم تبشيرهم بالايمان، كاليهود والوثني. هؤلاء لا ينبغي أن يدفعوا الى الايمان دفعاً، لان الايمان قضية طوعية"[١١: ١١٧] وهي معالجة للمجتمعات التي سادها التبشير المسيحي مع وجود مجموعات صغيره لم تدخل الايمان المسيحي عن طريق التعميد. وهنا التعميد مراد منه ان يكون طوعي وليس على اساس الاكراه[٩: ١١١]، والا كيف يجبر الانسان بالإكراه الى الايمان او التعميد بما لا يؤمن ويعتقد او بما يدخل قلبه، وهو ما ذكره اوغسطين وحذر منه الا انه وقع وحدث في القرن الخامس عشر على يد شارلمان حينما احتل بلاد الساكس وامر بتعميد سكانها وقتل

****اشارة الى قرار ميلانو: وهو القرار الذي بموجبة يُتح لحرية التعبد للمسيحيين وغيرهم من الديانات الوثنية على السواء، وعدم التعرض لها بأي من الوجوه.

كل من يرفض التعميد وهو يمثل التبشير بالدين الذي يلغي حقوق الانسان فيما يعتقد وصار الموت مرهون بقرار يحمل طابع الأمر المقدس[١٢: ٤٢-٤٣]. ويعلل ج. بيورى هذه الامور الصادرة من الحكام، كون الكنيسة تدفع الى قانون وقد سرى في اوربا على أنَّ يحارب الحاكم ويستأصل "الالحاد" من رعيته وبخلافه سوف يعرض عرشه وارضه وكل ممتلكاته لضياع والسلب من قبل الكنيسة، وهم بذلك لا يريدون ان تتكون مجموعات قد تنازعهم في وجودهم الذي يزحزح وجود رجالات الكنيسة[٥: ٥٢]وهذا الموقف بحد ذاته لايمثل جميع افكار اللاهوتيين وانما كما بينا سابقاً ان ارتباط الكنيسة بالسياسة هو الذي دفع البابوات لهذا المواقف وما الحروب الصليبية الا مثال على توسيع نفوذ الكنيسة واسترداد الارض التي شهدت السيد المسيح من المسلمين وصارت توظف ايديولوجيا من اجل الكنسية وتوسيع رقعة حكمها[١٣: ١٢].

فالطموح المسيحي في التوسع السياسي كان بوساطة الدين او بما يعرف بالحروب المقدس، وان فكرة الاضطهاد الموجودة في قبول الآخر من حيث المبدأ، يوظفهُ من قبل مجموعة ملوك من اجل طموح السلطة وتوسيع رقعة الملك بدعوى محاربة المارقين والمرتدين والمتهرطقين.

## ٤. توما الاكويني في مواجهة الاديان والعقائد

ينطلق توما الاكويني وبشكل عقلاني من الكتاب المقدس والى القديسين كي يبحث عن ضالته التي تسمح له في بناء لاهوت لقبول الاديان والعقائد المتعددة، كما يوضح هو في مقالته "هل ينبغي اكراه الكفرة على الايمان"[٥:٨/٥٠٠] فما ورد في انجيل متى قوله "فجت عبيد البيت وقالوا له: ياسيد، اليس زرعا جيدا في حقلك؟ فمن اين له زوان[*****١٤] فقال لهم انسان عدو فعل هذا فقال له العبيد: اتريد ان نذهب ونجمعه؟ فقال لا! لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وانتم تجمعونه"[متى١٣: ٢٧-٣٠] كانت هذه الآية منطلقاً لتومّاالاكويني وكلام القديس يوحنا الفم الذهبي في تعليقه على هذه الآية " اراد الرب بقوله هذا النهي عن القتل لانه لا يجب ان يقتل ولا المبتدع ايضاً، لانه اذا قتلتموهم سقط معهم بالضرورة كثيرٌ من القديسيين[٥:٨/٥٠١]، وهنا يظهر الحجة من عدم إجبار المخالفين على عقيدة المسيحيين على الايمان ودفع الشر وان يتحول الايمان والدعوى له على الاساس الارادة الحرة، وان لا يُكره على اعتناق الايمان بالقوة، وهو ما جعل الاكويني يستعين بنص قرار المجمع على صحة الايمان.

وقد أصبح الاكراه على الدخول في الايمان المسيحي إرغام على البقاء مع توما الاكويني الذي استوحى مفهومه هذا من احد البنود المقررة في مجمع توليدو الرابع المنعقد عام ٦٣٣م وهو بند يتعلق بارتداد اليهود، اورده غراسيانس تحت العنوان الاتي " كما إن اليهود لم يكرهوا على الايمان كذلك لا يجوز للمترددين منهم ان يتخلوا عنه. وهذا هو ملخص النص المجمعي في ما يتعلق باليهود.

يقر المجمع المقدس بعدم ارغام احد منهم على اعتناق المسيحية بالقوة .... اما الذين سبق لهم ان ارتدوا اليها جبراً ... وتقبلوا الاسرار الالهية ومالوا نحو نعمة المعمودية ... فيتوجب ابقاؤهم في الايمان وان كان قد سبق لهم ان عتنقوه بالقوة او بحكم الضرورة كما يتوجب عليهم الا يحذفوا على اسم الله ويحتقروا او

*****عشب اسمه باللاتينية Lolium – اسمه العلمي "لوليم تيمولنتم" (LoliumTemulentum) وهو ذو أطراف ليفية كثيرة، ينبت كثيرًا بين الحنطة (نبات القمح) بدون زراعة ومرّات ينثر حبوبه وهو عشب سام يحدث أكله دوارًا وارتعاشًا وربما يسبب موتًا. يتعذر التفريق بينه وبين الحنطة في البداية، ولكن الفرق يظهر بعد النضج والإثمار. ولا يمكن اقتلاع الزوان من وسط الحنطة والا حدثت أضرار بالغة للحنطة، فيضطر صاحب الحقل إلى التأني عليه حتى وقت الحصاد فتتشغل النسوة والأولاد في جمعه أولًا للحريق وربما يستخدم لإطعام الدجاج والطيور، ثم تجمع الحنطة

ينكرون الايمان الذي قبلوه****** ليس هذا فقط، بل ان كلام القديس غريغوريوس الكبير في جوابه الشهير على استشارة بوريس، ملك بلغاريا عام ٨٦٦م له في موضوع الوثنيين "لا يسعنا ان نشير عليكم بسوى ضرورة العمل على اقناعهم ببطلان الاصنام عن طريق الحث والارشاد والنصح والبرهان بدلاً من اللجوء الى القوة"[٩: ١٠٩] وتوما الاكويني بذلك لا يرُيد ان يخالف الارادة الالهية في رسم اللاهوت فيقبل جميع الاديان، وان ماجاء في انجيل لوقا" فَقَالَ السَّيِّدُ لِلْعَبْدِ: اخْرُجْ إِلَى الطُّرُقِ وَالسِّيَاجَاتِ وَأَلْزِمْهُمْ بِالدُّخُولِ حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِي"[لوقا: ١٤، ٢٣].

والتساؤل هنا على من يجب الاكراه باعتناق الايمان المسيحي في ما ورد من نص القديس لوقا، فيجيب توما الاكويني "من الكفرة من كانوا قد اعتنقوا الايمان يوما وهم يقرون به كالمبتدعة او اهل الردة وهؤلاء يجب اكراههم حتى بالعقوبات البدنية ايضاً على ان ينجزوا ما وعدوا به ويلزموا ما اعتنقوه من قبل[٥:٨/٥٠٢] " فالتسامح مع اليهود وغير المؤمنين المراد عدم الدخول والخروج من دون مبرر" فالكنيسة باعتبار الوجه الاول لا تحظر على المؤمنين مخالطة المخالفين وغيرهم الذين لم يعتنقوا قط الايمان المسيحي اذا ليس لها ان تحكم عليهم حكماً روحياً بل حكماً زمنياً وذلك متى كانوا مقيمين بين المسيحيين فارتكبوا ذنبا فعاقبهم المؤمنون عليه عقاباً زمنياً"[٥:٨/٥٠٤]وان التوافق في هذا الامر موكول في حال استغل احد غير المؤمنين ممارسة التضليل على قوم سذجا وضعفاء في الايمان[٥:٨/٥٠٤].

وهو الحال في معاشرة المخالفين في العقيدة ليس روحيا بقدر ما هو زمنيا فمن الذين امنوا وخرجوا من الايمان هم من تحذر منه الكنيسة والا الذين لم يدخلوا الايمان او انهم لا يمثلوا خطراً على المؤمنين في زحزحة ايمانهم بسبب المعاشرة[٥:٨/٥٠٩-٥١٠] الطويلة لذا كان التخوف احترازياً أكثر منه اضطهادياً والتسامح واضح في فكرتي المصاحبة ورئاسة غير المومنيين من اليهود وغيرهم.

وربما يفهم ايضاً من الوهلة الاولى ان الاكويني لا يبدي تسامحاً واضحاً في شأن ممارسة من قبل الطقوس غير المؤمنين " واما طقوس سائر غير المعتقدين بالمسيحية التي لا تثبت ولا تفيد شيئاً فلا ينبغي احتمالها بوجه الا لاجتناب الشر[٥:٨/٥٠٩-٥١٠] لكن إيضاح توما الاكويني لما تقدم من التخوف، قاده الى نتائج جيدة، وهو ربما اجتناب الشر البسيط سوف يقودهم الى خير اعظم من التساهل للوهلة الاولى وان "التشكيك او النزاع مما قد يلزم عن عدم احتمالها او كمنع خلاص بعض ممن اذا احتمل ذلك منهم اهتدوا تدريجياً الى الايمان"[٥:٨/٥٠٩-٥١٠] وهذا ما جعل الكنيسة وتوما الاكويني ان يرفضوا طقوس بعض المخالفين سعياً الى الخير الاعظم الذي يجنبهم الشر ويوصلهم للخير العام وان يحافظوا على المجتمع من الاختلاف بسبب الفوارق بين العقائد والطقوس.

وبهذا يمكن القول ان توما الاكويني آمن بصورة واضحة بحرية الاديان الذي يتيح تطبيق ما يسمى قبول الاخر "حرية الاديان" مع غير المسيحيين وان آمن هو بان باقي العقائد والعبادات المبنية على اعتقادات خاطئة الا انه كما بينا يريد منها خير اعلى او اعظم او تجنب شر اعظم من فتح المجال امام من هم غير مؤمنين بالعقيدة المسيحية "وعلى هذا فالمخالفين وان خطئوا بممارسة طقوسهم يجوز احتمال ذلك منهم اما لاجتلاب خير او لاجتناب شر "[٥:٨/٥٠٩].

ولكن الكنيسة تتخوف على ابنائها من مخالطة أولئك المخالفين الضالين عن الايمان بالعقيدة المسيحية، وتعزوا ابعاد المؤمنين كي لايفسدوا حقيقة ايمانية في قلوبهم، هو ما دفع الاكويني ايضا من

******وقد استعار القديس توما الاكويني خلاصة هذا القرار المجمعي في كتاب الخلاصة اللاهوتية،

التخوف من هكذا ممارسات وطقوس من المخالفين له، الا انه وجد ان التسامح يكون على اساس تجنب شر اعظم "لما كانت هذه الطقوس اليهودية، من عناصر الحقيقة والمنفعة، فلا مبرّر للتساهل بشأنها الا إذا كان المقصود بها تجنب شرّ اعظم"[٥:٨/٥٠٩] ومن ثم فان توما الاكويني انما اراد بهذا التسامح مع فسح المجال في ممارسة عقيدتهم املاً ان هذا التسامح سوف يفتح باب التشكيك في عقائدهم الفارغة وتحولها نحو الايمان الصحيح.

ويختتم الاكويني مقاله بهذا الخصوص من التسامح، لهذا السبب، أي تداركاً للمزيد من الشر، لاقت عبادات الهرطقة والوثنيين احياناً تسامحا من الكنيسة حينما كان غير المؤمنين لا يزالون يشكلون جماعة كبيرة.

## ٥. السياسة والصالح العام

يقدم توما الاكويني نظرية عملية في الجانب السياسي، قد تخالف المتوقع من رجال لاهوتي يسعى لتحقيق غايات غير طبيعية.

ويلاحظ ان تفسير الاكويني يختلف مع الحقيقة الدينية المسيحية التي تؤمن ان حياة الانسان على الارض هي نتيجة للخطيئة التي ارتكبها آدم في الجنة.

حيث يرفض هذا المنطق اساسا في تفسيره لتكوين الدولة والمجتمع، ذلك بأن الحياة على الارض نتيجة تطور طبيعي اقتضى بالضرورة ظهور الدولة وهيئتها الحاكمة، كي يتحقق الخير العام[٣: ١٨١].

على الرغم من أنّ توما الاكويني يتابع في الجانب العملي ارسطو طاليس الذي ثبت أنّ السياسة أو الدولة بالتحديد هي تلبية لغايات الانسان[١٥: ٩٥][]١٦: ١٥٦]، وأنّ هذه النتيجة ربما للوهلة الاولى قد لاتنسجم مع مفكر مسيحي تكون غاياته تعلو على الطبيعة، لكن هذا الايمان الذي يتحرك به الاكويني اوجد قناعة تفيد ان الانسان ليس فرداً منعزلاً قادراً على بلوغ غايته بمعزل عن ابناء جنسه او بعقله الفردي، بل عليه ان ينصاع مع الوجود الاجتماعي والسياسي، فالانسان ولد ليعيش مع اقرانه في مجتمع كي يحقق مايريد الوصول إليه من احتياجات فهو وحدة غير قادر على تلبية احتياجاته بالكامل الا بالتعاون.

فالحال الطبيعي للانسان في ادارة المجتمع (الحكم) والا تفككت اذا غادر عضواً منها، فالصالح العام يحتم على الانسان كما يراه توما الاكويني لابدّ من وجود شخص يهتم بالصالح العام، وهو بدوره يوجه نشاطات الافراد، وهي مهام السلطة الحاكمة. كما في الجسم الانساني، فالدولة تهدف لخلاص الانسان على الارض وليس الكنيسة[١٧: ٢٧٣].

وبذلك رفض الاكويني فكرة الحق الالهي للملوك، فالسلطة ظاهرة طبيعية من اختصاص العقل البشري قبل أن يكون من اختصاص علم اللاهوت، فهي تتقبل الكل في دائرة الحق البشري الطبيعي وليس الالهي. "إن المجتمع السياسي هو كُلٌّ، لا على العقل أن يعرفه فحسب، بل ينبغي كذلك أن يقال أنه (العقل) يصنعه، يصنع المجتمع السياسي[١٦: ١٥٧].

وهو ما يثبته هنا أنّ السياسة تؤسس للإنسان كمواطن بغض النظر عن اي شيء وعليه فان توما الاكويني يناهض في أنّ مقام فلسفة السياسة طبيعية تذهب الى ان المجتمع السياسي كيانٌ طبيعي – يكون العقل في خدمته بداهة– واخرى عقلانية او تعاقدية تفرض تأسيس المجتمع السياسي على نوع من عقد يكون العقل وحده هو الذي يسُنَّ مواده.

ويمكن أن نعبر عن فكر الاكويني بالقول إنّ الرغبة في المجتمع السياسي، هي نفسها الرغبة في تجسيد قبول الاخر بالدولة، فإنما بدون الاخرين لا تؤسس الدولة ولا يوجد المجتمع السياسي، فان قلنا ان الانسان كائن سياسي بطبيعته، وان المصلحة المشتركة هي التي دفعت الاكويني في الرغبة في تأسيس فكرة الدولة، فالغاية التي يتطلع اليها الانسان ليس الدولة في ذاتها، بل المصلحة المشتركة: تظل الاساس للغائي والشكلي، ليس الانسان براغب في سلطة الدولة، الا من حيث إن هذه السلطة عقلانية، بالمعنى الاساس للكلمة.

أمّا فيما يخص التطابق بين الدولة والامة، تتسم نصوص الاكويني بوضوحٍ شديد، إذ يكتب في بعضها قائلا إنّ: " الشريعة نظام عقلي يقصد به الخير العام – وكمبدأ– يراد به ان الشريعة يقصد منها بادئ بدء العناية بخير الجماعة او الكل ولا يبالي فيها بأمر الجزء او الفرد الا من حيث يجب عليه ان يعاون هو نفسه على خير الجماعة او الجمهور" ومفهوم الشريعة هنا المراد منه القانون"[٨: ٦/ ١٤٩] لان الاكويني يُعرّف هذا الاصطلاح في السياق على انه "نظامٌ عقلي يقصد به الخير العام وتصدره السلطة وتذيعه"[٨: ٦/ ١٤٩]

فالمصلحة المشتركة، توجه أي شيءٍ للمصلحة المشتركة هو واجب على الشعب بأجمعه أو على فرد يمثل الشعب، لهذا فإن السلطة التشريع يتمتع بها الجمعُ أو شخصٌ ينوب رسمياً عنهم،عليه المسؤولية عن الجمع بأكمله.

وهو ما دفعه في موضع آخر ان يكتب عن التراضي بين العامة اذا ما تعارض بين افراد المجتمع كي لا تفسد المصالح العامة وتحافظ الجماعة _الشعب_ على وحدته، حتى لو لجأ الحاكم بفرض العرف البَيِّن[٨: ٦/ ١٤٩].

ويتضح من النصين جدية الاكويني بالحفاظ على السلطة العاملة لأجل مصلحة المجتمع نفسه وهو ما يدفعنا للقول إنّ السلطة هنا او الحاكم المراد منها سلطة مؤسسية لا سلطة شخصية. إذن ليس بالامكان للانسان ان يمارس حياته الا بمعونة الاخرين ومفهوم الغيرية والصلة هو موضع تنفيذ فعلي وليس تنظير بل حتمية جماعية او الاجتماع السياسي ومرجعية الدولة الواقعة في مواجهة الفرد وعدم تفرد جماعة دون الاخرى كي يتيح الفرصة لأكبر عدد من الافراد للتسامح والاستقرار اللذين يحتاجهم المجتمع لثبات ذاتيته.

فنظرية توما الاكويني بالدولة ضرورة طبيعية وداخلية لايمكن للفرد الا ان يستجيب للعقل الطبيعي الذي يشكل الجماعة كي يتحقق التجانس التام بين الافراد بحسب المصالح العامة وليس بإرادة الكنيسة، فوظيفة الدولة هي إظهار الطابع المحدد لذلك الانسان .. الانسان الذي يصير إنسانيا بفعل كشف الدولة عن طابع ذلك الانسان، اذا يبلغ العقلانية، يجب ان يكون فهم هذا الكشف، بمعنى تفاعلي: ففي الفعل ذاته الذي تظهر به الدولة عقلانية الانسان، تتحمَّل هي مهمة الارتقاء بالعقلانية وهذا ما اشار اليه إيف كاتان بقوله" ليس ما استعان به الاكويني من مفهوم للغائية، الا ضربا من تبيان فكرة المصلحة المشتركة أو العقلانية" وهاتين لا توهبان بقدر ما ينبغي تحقيقهما[١٧: ٢٩٧].

## ٦. نتائج البحث

- ان جذور التسامح موجودة في النصوص الدينية وبشكل واضح الا ان الممارسات السيئة هي من تغيب فعل التسامح في جميع العقائد الدينية.

- يقدّم توما الاكويني تصوراً لاهوتياً قوامه العقل الفلسفي في الحوار مع المخالفين للايمان المسيحي من أجل حوار لدفع الشر وإحلال الخير الاعظم للمجتمع.
- لا يرفض توما الاكويني الاديان وطقوسها شرط أن لا تؤثر روحيا ووجوديا على الايمان المسيحي لدفع الشكوك والاباطيل عن تعاليم المسيح.
- يقدّم توما الاكويني نظرية في السياسة تضمن للجميع العيش على وفق الصالح العام وان كل فرد له دور في الدولة التي لاتبنى الا لضمان حقوق الانسان والمصالح المشتركة بين المجتمع.

**CONFLICT OF INTERESTS**
**There are no conflicts of interest**

## ٧. قائمة المصادر والمراجع


- الكتاب المقدس

١- ديفيز، فرانسيس، "القديس توما ولاهوت العصور الوسطى"، ضمن كتاب، موسوعة الاديان الحية، إعداد: ر. س. زينر، ترجمة، عبدالرحمن عبد الله الشيخ، دار الهيئة المصرية، ط١، ٢٠١٠.

٢ -.رايت، وليم كلي،" تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة "، محمود سيد أحمد، تقديم ومراجعة: امام عبدالفتاح امام، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠.

٣- كرم ، يوسف: "تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط"، دار المعارف، مصر، ط٣، بت.

٤- صالح، هاشم، "مدخل إلى التنوير الاوربي"، دار الطليعة، ط٢، بيروت، ٢٠٠٧.

٥- بيورى، ج، "حرية الفكر"، تعريب، محمد عبدالعزيز إسحاق، تقديم إمام عبدالفتاح إمام، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٠.

٦- قراملكي، احد فرامرز، "مناهج البحث في الدراسات الدينة"، ترجمة، سرمد الطائي، معهد المعارف الحكمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٤.

٧-هيك، جون، "فلسفة الدين"، ترجمة ، طارق عسيلي، دار المعارف الحكمية، ط١، بيروت، ٢٠١٠.

٨- توما الاكويني، "الخلاصة اللاهوتية"، عربها عن اللاتينية المطران بولس عوّاد، دار مكتبة بيبلون، بيروت،٢٠١٢.

٩-لوكلير، جوزيف، "تاريخ التسامح في عصر الاصلاح الديني"، ترجمة، حورج سليمان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٩.

١٠- طرابيشي، جورج، "مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام"، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

١١-اوغسطينوس، "شرح رسالة القديس يوحنا الاولى"، ترجمة، الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، ط٤، بيروت، ٢٠٠١.

١٢- الخطيب، محمد، "حضارة أوربا في العصر الوسطى"، دار علاء الدين، سوريا، ط٢، ٢٠٠٩.

١٣- قاسم، عبد قاسم، "الخلفية الايديولوجية للحروب الصليبية"، ذات السلاسل للطباعة والنشر، ط٣، ١٩٨٨.

١٤- شرح كلمة (زِوَان)، الشركة الكنيسية القبطية الارثوذكسية، الاسكندرية، مصر، http://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/11_Z/Z_64.html سنة النشر ١٩٩٣، تاريخ الوصل ٢٠١٧.

١٥- ارسطو طاليس، "السياسة"، ترجمة من الفرنسية، احمد لطفي السيد، دار الجمل، ط١، بيروت، ٢٠٠٩.

١٦- كوبلستون، فردريك، "تاريخ الفلسفة"، ترجمة، إمام عبدالفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٠.
١٧-كاتان، إيف، "علم الانسان السياسي لدى القديس توما الاكويني"، ترجمة ،أحمد علي بدوي، المشروع القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٣.